مؤسسة صرح الخلافة

تقدم

تفريغ سلسلة:

موارد الظمآن إلى فضائل رمضان

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى - 1446 هـ




بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ سلسلة

موارد الظمآن إلى فضائل رمضان

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

مؤسسة صرح الخلافة



مركز إنتاج الأنصار



الفهرس

المقدمة..٤
مقدمة السلسلة..٥
الدرس الأولى..٦
الدرس الثاني..١٠
الدرس الثالث..١٣
الدرس الرابع..١٧



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يسر إخوانكم في مؤسسة صرح الخلافة أن يقدموا لكم تفريغًا لسلسلة (موارد الظمآن إلى فضائل رمضان) الصادرة عن إذاعة البيان، وهي من أربعة دروس. وتم مراجعتها نحويًا ولغويًا، وُجِّد في السلسلة: علامات التنصيص للآيات والأحاديث والأقوال كل على حسبه، ووحدت كذلك الألوان للآيات والأحاديث كل على حسبه، وخرجت الأحاديث النبوية.

نسأل الله الكريم أن يبارك لنا في رمضان.

إخوانكم في صرح الخلافة





مقدمة السلسلة

رمضان شهر فضَّله الله على سائر الشهور، وأنعم به على الأمة مدى الدهور، كل سنة يعـود علينـا بفضـله وإحسـانه، ويمنُّ علينـا بعميم غفرانـه، يهـلُّ علينـا بـالأمن والإيمـان، وتهذيب الأرواح والأبدان، وزيادة البذل والإحسان، أبواب السماء فيه مفتوحات، وأبواب الرحمة والجنان مشرعات، وأبواب النار موصدات، والشيطان بالسلاسل مكبلات، فلله دَرُّ القـائمين في الظلمـات، المنقطعين لـرب الأرض والسـماوات، رمـوا زينـة الـدنيا الفـاخرة، وتركوا شهواتها العابرة لنيل مرضاة الرحمن الرحيم، والفوز بجنات النعيم المقيم.

أحبتنا المستمعين؛ كونوا معنا في برنامج "موارد الظمآن إلى فضائل رمضان".



الدرس الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا الشهر الذي الله سبحانه وتعالى جعل فيه مميزات عن الشهور الباقية، نعم إن هذا الشهر هو محطَّة إيمانية قوية، وهي نستطيع أن نقول دورة إيمانية تربوية مكثفة، وهي كفيلة لمن وفقه الله سبحانه وتعالى بأن تمده طوال ما بعدها من الشهور حتى يأتي رمضان الآخر، فلذلك النبي ﷺ كان يبشر أصحابه وكان يحثهم على استغلال هذا الشهر العظيم ويقول: "أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ"[1]، وكان يذكر -عليه الصلاة والسلام- لهم الأجور المرتبة على هذا الشهر، وأن هذا الشهر له عند الله سبحانه وتعالى خصيصة ليست كغيره من العبادات، حتى قال الرسول ﷺ: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"[2].

وكان عليه الصلاة والسلام يرغب الصحابة ويقول: "مَن صامَ رمضانَ وقامَهُ، إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ، ومَن قامَ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتِسابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ"[3]. نعم إنه شهر يجب على المسلمين أن يتنافسوا فيه تنافسًا عظيمًا أشد من تنافس أهل الدنيا على دنياهم، فأهل الدنيا لهم مواسم يغتنمونها، ويسافرون من أجل هذه المواسم، ويتركون أهلهم ويتركون كثيرًا من أعمالهم من أجل هذه الدنيا الفانية، لماذا؟ لأنهم يتواصون ويُرغِّب بعضهم في بعض، فلذلك التحريض على أي نوع من الاتجاهات تجد المحرضين لهم أثر من هذا التحريض، فمن باب أولى أن المسلمين يحرض بعضهم بعضًا كما كان قدوتهم عليه الصلاة والسلام في ذلك.

---

[1] رواه أحمد والنسائي. (صحيح)

[2] متفق عليه.

[3] رواه رواه الترمذي ومسلم باختلاف يسير. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.



سنقف في هذه الدقائق عند قول الله جل جلاله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)} [سورة البقرة]، وأنا يا إخواني لن أقف عند أحكام هذا الصيام، فقد ذكر أهل العلم في ذلك وفصَّلوا فيه.

ولكن سنقف وإياكم مع بعض مدلولات هذه الآية، ولتنظر كيف افتتح الله سبحانه وتعالى هذه الآية بالنداء المحبب، وهي من أعظم صفات عباد الله؛ الإيمان بالله، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرع لها سَمعك، فإما خيرٌ تؤمر به، وإما شرٌّ تُنهى عنه، وكم يذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفة ويميز أصحابها عن البشرية كلهم، إذًا؛ إذا قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، أي بمقتضى إيمانكم سيُذكر لكم ما بعد ذلك، فإن كان خبرًا تصدقوه، وإن كان أمرًا تفعلوه، وإن كان نهيًا تنتهوا عنه، فإذا لم ينهك إيمانك عن أمر، أو لم يحثك على المبادرة إيمانك في أمر، أو لا ينهاك إيمانك عن نهي، فيكون هذا الإيمان يحتاج إلى مراجعة، حتى قال الله تعالى عن أقوام: {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣)} [سورة البقرة].

ويذكر الله سبحانه وتعالى كثيرًا من العبادات ويقول: {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، إذًا؛ الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، أي بمقتضى إيمانكم كتب عليكم الصيام، أي تفعلون هذه الفريضة بمقتضى إيمانكم، وأنتم تعلمون أن الله جل جلاله شرع لكم هذه الشريعة العظيمة، لكن لماذا الله سبحانه وتعالى، ما هي الحكمة من شريعة هذا الصيام؟ قال تعالى في آخره: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وانظر كيف الله سبحانه وتعالى جمع في أول الآية قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وقال في آخرها: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، إذًا؛ نأخذ من هذه فوائد كثيرة وحِكَمًا عظيمة؛ أنَّ من أعظم حكم الصيام هو تحصيل التقوى، ما قال الله جل جلاله: {لَعَلَّكُمْ} ما فيه توجيه بقضية تعبّدني سواء بالأكل والشرب أو السهر في القيام أو غيره، أو أن القضية إنفاق مالي ويُتعب الإنسان قضية اقتصادية، إلى غير ذلك، وإنما ما فُعل من هذه الشعيرة إنما هو لأجل تحصيل التقوى، إذًا؛ نحن إذا عرفنا الغاية سهل علينا تحقيقها من



أول ليلة وقبلها، كان النبي ﷺ يحفز الصحابة لأجل أن تكون من أول ليلة يبدأ قضية معيار التقوى بالارتفاع.

إذًا؛ نحن مطالبون في هذا الشهر الكريم بأن نكون من المتقين، وأن التقوى تظهر في جميع اتجاهاتنا، لا إله إلا الله، تظهر في قلوبنا، قلوبنا بعد ذلك تدفعنا إلى مسامعنا وأبصارنا وإلى كلامنا إلى أفكارنا إلى معاشراتنا إلى أحوالنا إلى جميع ارتباطاتنا في هذه الدنيا، ونحن مرتبطون في هذه الدنيا بهذه الشعيرة العظيمة؛ شعيرة الإسلام، {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)} [سورة الأنعام]، حينما نغفل عن هذه الغاية العظيمة إخواني الكرام؛ فإننا سوف يدخل رمضان ويخرج ونحن لم نتأثر، بل بعض من الناس تجده -نتيجة عدم معرفته لغاية الصيام- تجده في رمضان ربما يصيبه شيء من الكسل والعجز والخمول، بل ربما تتكالب عليه بعض الأمراض النفسية والأمراض البدنية نتيجة تقلب الفطرة في نومه، في مأكله، في مشربه، في انقلابه التام في حياته المعيشية، لأنه لا يدري بالضبط لماذا؟

إنما هي أصبحت أغلب ما تكون شبه العادات الاجتماعية، صامت الناسُ صمنا معهم، أفطرت الناسُ أفطرنا معهم، صلت الناسُ صلينا معهم، هكذا وأصبح يومه وليله روتينًا تشكله له العادات الاجتماعية التي فرضت عليه من خلال تغيُّرات المجتمع وتقلباته، إذًا؛ المسلم يجب عليه أن ينتبه، الله تعالى يقول: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [سورة ص:٢٩]، إذًا؛ من أول ليلة نبدأ نقيس معيار التقوى في أحوالنا، في أنفسنا، وفي أهلينا، في بيوتنا كيف أثرت، تبدأ تأثير التقوى علينا في صلاتنا، في قرآننا، في قيامنا، في كلامنا، في مجالساتنا، في صداقتنا، في دعائنا، في هذه الأعمال الضخمة التي كان النبي ﷺ ينوع بينها يحث الصحابة على فعلها، إذًا؛ هذا الشهر نستطيع أن نقول عنه أنه مدرسة تربوية مكثفة، من استطاع أن يستغله استغلالًا إيمانيًا يورثه التقوى، فهو كفيل مع باقي المحطات الأخرى التي ذكرها الله تعالى وشرعها لنا بعد رمضان، كفيل بأن يسير بالإنسان حتى ترجع عليه مرة ثانية هذه المحطات القوية، فتزوده الإيمان والتقوى، فيصبح حياته كلها إيمان وتقوى إيمان وتقوى، حتى يأتي ذلك اليوم الذي يخرج من الدنيا بأحسن حال،



كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)} [سورة الحجر]، وهو يتمثل قول اللَّهِ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا} [سورة النساء:١٣٦]، ويتمثل قول اللَّهِ تَعَالَىٰ: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ} [سورة البقرة:١٩٧]، إلى غير ذلك من الآيات، إذًا؛ نحن في مقدمة عظيمة في قضية استقبال هذا الشهر الكريم، وهو الاستنفار بجهودنا لتتوجه إلى قضية استغلال هذا الشهر إيمانًا ليورث لنا التقوى مع التعاون مع إخواننا، كما قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ} [سورة المائدة:٢]، ونصبر أنفسنا معهم لندخل من أوسع أبواب قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)} [سورة آل عمران].

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كان لنا مجلس سابق تحدثنا وإياكم وتجاذبنا عن جزء من حياة النبي ﷺ مع الصحابة وكيف كان يستحثهم وينهض هممهم، ويبشرهم بقدوم هذا الشهر الكريم.

وكذلك وقفنا على جزء من شيء من ظلال قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)} [سورة البقرة].

أريد بهذه العجالة إخواني الكرام أن نعرف أن الله سبحانه وتعالى جمع تَدبُّر القرآن وتفهمه في موطن تكون النفس فيه سريعة التأثُّر في كتاب الله جل جلاله، لذلك نجد أن القرآن أنزل على النبي ﷺ في رمضان، ولا شك أن نزول القرآن في رمضان له أثر كبير جدًّا وارتباط عظيم مع الصيام، وكلما كان الإنسان قليل التخليط في الأكل يصفو ذهنه، وتكون مجاري الشيطان مضيقة، وتكون النفس فيها هدوء، والقلب فيه إقبال على هذا القرآن العظيم، فلذلك جعل رمضان مدرسة واسعة لهذا القرآن العظيم.

وكان ﷺ يراجعه جبريل القرآن، حتى في آخر حياته عليه الصلاة والسلام راجعه مرتين، فنعرف أن القرآن في رمضان له ميزة غير باقي الأيام الأخرى، فإذا كان ذلك؛ كان ينبغي للمسلم كذلك أن يحشد جهده ليس لقراءة كتاب الله فقط، بل لتدبر كتاب الله سبحانه وتعالى، والحمد لله في رمضان تجد أن المسلم يسمع القرآن كثيرًا في حياته اليومية وفي ليلته، فهو بشخصه مرتبط مع القرآن، وينبغي للمسلم أن لا يكون فوضويًّا؛ يجب عليه أن يكون مرتبًا نفسه مع كتاب الله سبحانه وتعالى، وله جدولة مع كتاب الله قراءةً وتدبرًا لكتاب الله.



فمثلًا: يفتتح صباحه بكتاب الله جل جلاله، الصلوات، كذلك قراءة أجزاء محددة من كتاب الله سبحانه وتعالى، هذه قراءة شخصية، أما ما يكون يستمع إليه ففي الصلوات الجهرية وكذلك في صلاة التراويح، ثم تأتي صلاة التهجد في العشر الأواخر من رمضان، أما ما يكون عوارضَ وعارضًا في أجهزة التسجيل والمذياع وغيرها، فهو دائمًا يكون هذا المسلم في رمضان مرتبطًا أكثر وأكثر بكتاب الله جل جلاله.

إذًا؛ هذه فرصة عظيمة، لكن كثيرًا منا يفوت قضية التدبر، وكثير من الناس يقول أن السلف رضي الله عنهم -وهذا هو الواقع- كانوا يختمون القرآن، ربما وصلت ببعضهم يختمه في اليوم ويختمه في الليلة، وربما قيل أكثر من ذلك، ولكن لا تنسَ أن هؤلاء الذين ينقل عنهم مثل هذه الجهود الجبارة والصمود لمثل هذه الأعمال العظيمة؛ لا تنسَ أنهم أصحاب علم ودراية ومعرفة بما يقرأون، فهم لا يَهذُّونه هذًّا هكذا، لا يعرفون منه إلا أيسر المعلومات والمعارف من كتاب الله جل جلاله والمدلولات، بل هؤلاء -رضي الله عنهم ورحمهم- كانت لهم حِلقٌ طويلة مع كتاب الله جل جلاله، كانوا يدرسون ويدرِّسون ويتدبرون ويفهمون ويشرحون، ويلتمسون من توصيات هذا القرآن العظيم الشيء الكثير.

أما نحن؛ فربما الإنسان ختم مرتين وثلاث وأربع ختمات، ولكن الحقيقة أنه يمر على أمور إما أوامر لا يؤديها، وإما نواهٍ يقع فيها، وإما أخبار عظيمة لا تؤثر فيه، هي نتيجة قلة التدبر لكتاب الله جل جلاله.

فنحن نعاني من عدة أمور، أوَّلها قلة التدبر الذي هو ناتج عن عدم الوصية في ذلك، وعدم المذاكرة في التدبر، وعدم التحريض على التدبر، فأصبحنا نقدم الكمَّ على الكيف، وقد ذكر أهل العلم أنه قيام الإنسان في آيات قليلة ويتدبرها ويتأثر بها خير له من قراءة آيات كثيرة ولا يتدبرها ولا يتفهمها، ومن المعلوم بمكان -ونحن نعيش أيامًا عظيمة- أن الإنسان في كل رمضان يستشعر عزة الإسلام والمسلمين، يستشعر بداية هذا الدين وانتصاراته، وهي في رمضان، يعطيه جوًّا دائمًا من ترقب عزة المسلمين التي تبدأ في رمضان، نزول القرآن في رمضان، غزوة بدر في رمضان التي سمَّاها الله تعالى (الفرقان)،



التي قصم الله تعالى فيها ظهور الشرك والمشركين، التي ذكر الله تعالى فيها قوله تعالى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ} [سورة الدخان:١٦]، ذكر بعض المفسرين أنها يوم بدر، قد فرق الله تعالى بها بين الكفر والإسلام، وبين الشرك والتوحيد، وجعلها معلمًا للمسلمين لما بعدها من الفتوحات العظيمة، كذلك فتح مكة هذا الفتح الذي قال الله تعالى بعده: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)} [سورة النصر].

إذًا؛ هذا الشهر شهر تقدم، شهر قفزات، وشهر انتصارات ترفع فيه الرايات، ليس شهر مآكل ومشارب ونوم وكسل، وإلى غير ذلك من الأمور التي حتى بعض المسلمين ربما تمنى من حيث بلسان حاله أنه لو أسرع رمضان برحلته، أما من يعايش رمضان بقرآنه بوقائعه، بجمع شمل الأمة، جمع قلوبها وجمع مشاعرها، وتوحيد صفها، فإنه يتمنى أن يكون رمضان رمضانات متتابعة، كيف لا وهو يجدد على المسلم دائمًا إيمانه وعزائمه؟.

إذًا؛ ونحن نتشوف ونتشرف في دخول هذا الشهر الكريم، كذلك ننتظر أن يعيد الله تعالى في هذا الشهر أمجاد الأمة مرة أخرى، وأن يعيد الله تعالى عزها، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا برجال يقرأون ويتدبرون، وينظرون في كتاب الله تعالى إلى المخارج القريبة القوية التي بها تُقال عثرة المسلمين تُقال به عثرة الأمة، ما ترك الله في كتابه أمرًا تحتاجه الأمة وخاصة في قضية وجودها والحفاظ على ذلك وعزها وقمع عدوها إلا جعله الله تعالى واضحًا بينًا مفصلًا في كتابه سبحانه وتعالى.

فهذا شهر نتهل فيه بإذن الله تعالى من التوصيات والتوجهات العظيمة، ولا يجوز للمسلم أن يكون هذا الشهر شهر مآكل ومشارب ومرئيات وسمر وغيرها، بل يكون مدرسة مباركة يخرج به بتقريرات عظيمة وتقعيدات عظيمة تخدمه طول بقائه، وكذلك تخدم المجتمع لأجل أن يعيد تركيبه مرة أخرى إلى التقدم وإلى العزة والنصر والتمكين.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما أجمل أن نتحدث دائمًا وننطلق من كتاب الله سبحانه وتعالى، هذا الكتاب الذي جعله الله تعالى روحًا، وجعله الله تعالى نورًا، وجعله الله تعالى بيانًا وهدىً وضياءً وشفاءً، وله أسماء وأوصاف كثيرة ذكرها الله سبحانه وبحمده.

من التوجهات التي نأخذها من قول الله سبحانه وتعالى: {لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ}، ونحن ما زلنا في الحديث حول رمضان، من أعظم ما يربي اللهُ سبحانه وتعالى على هذا الوصف العظيم التقوى، عبادة وهي الغاية العظيمة من وجود التقوى، وهي التربية الذاتية، التربية الذاتية، هذا رمضان يربي الإنسان تربية ذاتية.

وكل إنسان ربما يستطيع أن تظهر له وعليه قرائن في بعض الاتجاهات حينما تفسد نيته إلا الصيام، فهذا الصيام أمر فقط بينك وبين الله سبحانه وتعالى، فلذلك كان المسلم في شدة المراقبة لله سبحانه وتعالى في هذا الصيام الذي لا يستطيع أحد من الناس أن يكتشفه إلا حينما الإنسان يعلن سريرته أو يكون فيه قرينة أخرى قوية.

فالتربية الذاتية التي يربيها هذا الشهر العظيم في هذا الإنسان تعلِّمه بأنه لا يجوز له أن يراقب إلا الله، وأن لا ينتظر جزاءً إلا من الله، ولا يخشى عقوبة إلا من الله جل جلاله وتقدست أسماؤه، والرقابة الذاتية هو أمر يُعنى فيه الكتاب العظيم، وكان ﷺ إذا أراد أحدُ الصحابة سفرًا وقال: أوصني يا رسول الله؛ قال له: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ"[٤]، كم غابت هذه المفاهيم عن هذا الزمن عن أكثر الناس؟ واسأل نفسك كم سافرت من مرة؟ كم من الناس قال لك: اتقِ الله؟ بل الآن

[٤] رواهُ التِّرْمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.



أصبحت هذه الكلمة عند كثيرٍ من الناس تثير الحساسية وتثير شيئًا من التساؤلات، وكأننا أصبحنا ذاك المجتمع الذي هو لا يجوز لأحد من الناس أن يغمزه، فقد وصل من التقوى الأمر الذي كل الناس تراه، وهذا لا شك من جهل الإنسان بنفسه وسوء تصوره ومعرفته.

بل يجب على المسلم دائمًا أن يرحب بهذه الكلمة ويجعلها نبراسًا له، وتكون كلمة مشاعة بين أوساط المجتمع، فما أجمل المجتمع حينما تغيب كثير من الألفاظ السيئة لتحل مكانها الألفاظ الشرعية التي هي الواجب على المسلم أن تكون له شعارًا في كل حياته.

فما أجمل أن يقول الأب لابنه: اتقِ الله، ويقول الابن لأبيه وأمه، والأخ يقول لأخته، والصاحب يقول لصاحبه، هكذا الله يقول لنبيه ﷺ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} [سورة الأحزاب:١]، يُقال للنبي عليه الصلاة والسلام اتقِ الله؟ نعم، يُقال له اتقِ الله لأن كل من اتقى الله وذاقَ لذة التقوى أراد أن يتزود منها؛ كما قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ} [سورة البقرة:١٩٧]، ولكن هذه التقوى التي لها معنى يجد الإنسان لذاذتها وحلاوتها في قلبه، وإلا كيف الإنسان يكون متقيًا وهو لا يرى أثر هذه التقوى في قلبه وعلى جوارحه؟

فلذلك؛ الله تعالى جعل تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)} [سورة الحج]، فنحن نحتاج بأن نتذكر هذه الكلمة حينما كانت دائمًا موجودة في مستوانا العلني، نتذكرها في عالم الغيب، إذا أقدم الإنسان على ما تسوّل به نفسه وتوسوس به نفسه تذكر كلمة التقوى، وأن هذه الكلمة تفيد شدة المراقبة لله جل جلاله.

وليس معنى ذلك أن يكون الإنسان معصومًا، لا، الإنسان بشر يصيبه شيء من الضعف وتغلبه شهوته، لكن التقوى هذه لا تتركه مع المعصية ولا تسلمه فريسة لهذه المعصية فيستمر معها، بل الله تعالى يقول: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ



تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)} [سورة الأعراف]، ما فيه من ناس إلا كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ"[٥].

هذا الشهر الكريم يعلمنا الرقابة الذاتية، وبأن الله معنا في علمه وقدرته وإحاطته في كل مكان، نربي أبناءنا على ذلك، ونربي أول شيء أنفسنا ثم نربي أبناءنا، الله يرانا في السيارة، يرانا في الفناء، يرانا في أماكن منامنا، يرانا في خلواتنا، يرانا ونحن جلوس ما توسوس به أنفسنا، وهكذا يصبح الإنسان يُكثر من الاستغفار ويُكثر من ذكر الله جل جلاله، ويُكثر من الأمور التي تقربه من خشيته جل جلاله وتقدست أسماؤه.

فلذلك؛ يصبح المؤمن في شهر رمضان كل يوم تظهر عليه هذه المعالم، فيصبح غده خيرًا من يومه، ويومه خيرًا من أمسه، وتصبح دائمًا نفسه منه في كبد، حتى يأتي اليوم الذي يُقر الله تعالى عينه بقوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧)} [سورة الفجر]، فيطمئن المسلم للإيمان ويسكن للإيمان.

ويصبح المسلم كالسمكة مع البحر، لا يستطيع أن يفارق ذكر الله، لا يفارق القرآن، ويصبح بعد ذلك القيام عنده بعد رمضان مألوفًا، والصيام مألوفًا، والقرآن مألوفًا، والصدقة مألوفةً، والدعاء مألوفًا، ثم بعد ذلك ما هو أعظم من ذلك؛ هو الارتباط بالمسلمين في كل مكان، فيصبح المؤمن في بيته مع إخوانه، في كل مكان مع إخوانه الفقراء، وإخوانه المساكين، وإخوانه المرضى، وإخوانه أصحاب اللأوات وغيرها، أما إخوانه المجاهدون فهؤلاء لهم شأن آخر، لهم شأن عظيم، فهم الذين يقلقون حياته وهو يراهم في كل مكان، يتمنى يومًا من الأيام أن يصفَّ معهم.

فتجده في زكاته لهم نصيبه الأكبر، وفي صدقاته لهم نصيبه الأكبر، وفي دعواته لهم نصيبه الأكبر، فهو الذي دائمًا يُجيش عواطفه وكذلك أبناءه، ويحُفزهم ويخبرهم أن خيرة الله من خلقه هؤلاء الذين ملأوا اليوم -الحمد لله- الثغور وتكاثروا في الثغور والجبهات في

[٥] رواه أحمد والترمذي وقال:هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة. قال المناوي وقال الحاكم صحيح فقال الذهبي بل فيه لين.



كل مكان، كيف لا ونحن اليوم نتحدث إليكم من أحد جهات المسلمين، ونحن نسمع دوي الرصاص بأسماعنا وهو قريب منا، ولله الحمد والمنة، لقد رأينا نعم الله تعالى وكراماته على المجاهدين وهي تتجدد.

وأن يتفاعل المسلمون ليس تفاعلًا عاطفيًّا فقط، بل تفاعلًا عاطفيًّا وتفاعلًا واقعيًّا وتفاعلًا مع جميع احتياجات المجاهدين، لأنهم هم الخط الأول الذين يدافعون ويدفع الله تعالى بهم صولة المعتدين، والمسلم مع المجاهدين له اتجاهات كثيرة؛ أولاً -إن استطاع وهو يستطيع بلا شك حينما يرى بنور الله- أن يشارك إخوانه بدنيًّا معهم، وأن يسارع بتبني توجيه قول الله تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [سورة التوبة:٤١].

ويُحدِّث يوميًّا نفسه بالنفير إلى هذه الجبهات، وكيف يرى الناس تتسابق وهو جالسٌ في بيته وبين أهله، وربما كانت أعذاره أعذارًا عند الله ليست مقبولة، كما قال الله تعالى عن الأعراب: {شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا} [سورة الفتح:١١]، أخبر أن اللسان غير القلب.

كذلك يكون له الحظ الأوفر بدعم المجاهدين، المجاهدون اليوم ينتظرون دعم إخوانهم في كل مكان، وهم بأحوج ما يكون إلى الدعم، فهم يحتاجون إلى السلاح، ويحتاجون كذلك إلى الأدوات الطبية، ويحتاجون الوسائل الإعلامية، والوسائل التعليمية، والوسائل التأمينية لكثير من الأمور، وكثير من المسلمين اليوم يحتاجون إلى إغاثات في كل مكان على أيدي المجاهدين خاصة وعموم المسلمين عامة.

فحيَّ على شهر الجود والبذل، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الشهر شهرَ نصرٍ وتقدمٍ للمسلمين في كل مكان.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حياكم الله أيها الإخوة الكرام، ونحن وإياكم في هذه السلسلة المباركة نتجاذب وإياكم شيئًا من التزود في هذه المحطة العظيمة وهي المحطة الرمضانية، إخواني الكرام؛ أعظم ما يرزقه الله سبحانه وتعالى بعد الهداية لهذا العبد الضعيف هو أن ييسرَّ له صحبةً صالحة، لا يوجد بعد الهداية أعظم من الصحبة الصالحة، كما أن الله تعالى إذا أراد بعبده سوءًا، لا يعاقبه بعد الزيغ بمثل الصحبة السيئة، وهذا أمر عجيب في كتاب الله تعالى وهو من أوضح ما يكون.

فقضية الزيغ والضلال قال الله تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧)} [سورة الزخرف]، ويقول الله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِيۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩)} [سورة الفرقان].

هذا في جانب الزيغ والضلال إذا أراد الله تعالى بعبده سوءًا، أما إذا أراد الله تعالى بعبده خيرًا فلا يوجد بعد الهداية أكبر من نعمة الصحبة الصالحة، وهذا ليس في حق فقط أفراد المسلمين، بل حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يطلبون ذلك، إذًا؛ هذه المسألة مسألة خطيرة جدًّا، يجب على المسلم أن يتفكر وأن يقيس نفسه بالاستقامة قوةً وضعفًا بأصحابه، وينظر الوسط الذي يعيش فيه.

فكلما كان أصحابه يتسمون بالصلاح والتقوى والتعاون على ذلك والمسابقة والمنافسة والمسارعة فليعلم أن الله قد أراد به خيرًا، وإذا كانوا أصحابه أصحاب مستوى إلى الرجوع



أقرب فليحذر، فهذا مؤشر خطر، لأن الله تعالى قال: {لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)} [سورة المدثر]، فلا ثمة وقوف هنا، هذا موسى عليه الصلاة والسلام يخبرنا وهو الله تعالى أعطاه سبحانه وتعالى أوسمة، هذا كليم الله، قال تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، و{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي} [سورة طه:٣٩]، وقال تعالى: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)} [سورة يوسف]، ومع ذلك؛ في بداية الرسالة يطلب المعين، قال الله تعالى في سورة طه: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي} لماذا؟ {اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)}.

إذًا؛ إذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام -وهذا من أولي العزم من الرسل- يطلب مِن يعينه، كما قال الله له: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} [القصص:٣٥]، فغيره من باب أولى، فلذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ وهو سيد أولي العزم من الرسل؛ قال له: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}، ثم أكَّد قال: {وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، ثم قال بعدها: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا }[سورة الكهف:٢٨].

إذًا؛ الصحبة الصالحة من أعظم ما يحرص الإنسان عليه، والسلف رضي الله عنهم بتوجيهات كتاب الله تعالى ينتقون أصحابهم ويفحصون أصحابهم ويراجعون دورية الفحص لأصحابهم، ويجعلونها مقاييس دقيقة لأصحابهم، حتى قال بعضهم: (إذا رأيت الرجل تفوته تكبيرة الإحرام، فاغسل يديك منه)، هذه معايير جدًّا يرتقي بها المسلم.

والمسلم لا شك أنه مع من يصاحب في الآخرة، {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧)} [سورة الزخرف]، وفي رمضان وهو أحوج ما يحتاج المسلم إلى صاحب صالح يقوده ويأخذ بيده إلى اهتبال هذه الفرص الرمضانية والنفحات الرحمانية، لا يضيع عليه الوقت، ينظر إلى صحبة يضيعون عليه الوقت بمآكلهم ومشاربهم وسمرهم وذهابهم



وإيابهم، بل الصاحب يرتبط معه ارتباطًا قويًا في قضية الصيام والقيام وخدمة المسلمين، وقبل ذلك خدمة الأُسر أسرتهم وبر الوالدين، إلى غير ذلك.

فلذلك؛ الله سبحانه وتعالى أمرنا بأن نختار أقرب الناس للصحبة في هذه الدنيا وهي الزوجة الصالحة، ولم يُرزق المسلم بعد تقوى الله مثل الزوجة الصالحة، لأنها هي أقرب الناس إلى هذا الإنسان، الذي هو أحوج الناس إلى من يعينه على طاعة الله جل جلاله وتقدست أسماؤه.

وردَ عن النبي عليه الصلاة والسلام: "لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ"[٦]، لماذا؟ لأن هذه الأمور تذلل للإنسان ما صعب من الأمور التي النفس ما زالت تحتاج من يستنهضها إلى فعل هذه الأعمال.

إذًا؛ الرفقة الصالحة اليوم، من الآن قبل دخول رمضان، الإنسان يؤهل نفسه بأن ينظر إلى إخوانه أصحاب العزائم المتجددة ويجلس معهم، كذلك لأجل أن يُوجدوا مسيرًا ينظرون إليه من قرب خلال هذا الشهر الكريم؛ في صيامهم في صلاتهم في صدقاتهم في قرآنهم في عباداتهم التي يستطيعون أن يؤدوها، حتى يعبروا هذا الشهر الكريم وقد ظهر فيهم أكثر ما يراد وهو التقوى، قبل أن يخسر الإنسان بسبب صاحب لا يعرف مِن همِّه إلا مأكله ومشربه وذهابه وإيابه، وأنت تعجب ويطول بك العجب حينما تسمع قول النبي عليه الصلاة والسلام أن رمضان تُصفَّد فيه الشياطين، ومع ذلك بعض الناس لا يمارس كثيرًا من المنكرات والذنوب إلا في رمضان، تتعجب من هؤلاء، لكن حينما تنظر في كتاب الله جل جلاله تجد أن هذا الإنسان الذي لاحقته التعاسة نعوذ بالله، لاحقه الخذلان أنه بسبب هذه الصحبة التي تحيطه من كل مكان، وإذا قلنا (الصحبة) يجب على الإنسان أن يتوسع في هذه القضية أكثر وأكثر ذهنيًا، فبعض الناس رمضان أغلبه لا يجالس أحدًا، لكنه يجالس ما هو أشد من الصاحب الحسّيِ الذي أمامه، فتجده يجالس المقروءات الخاطئة والمرئيات الخاطئة والمسموعات الخاطئة، فهو تجده له لقاءات من وراء الشاشة،

[٦] رواه أبو داود والترمذي، وقال: هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه.



عنده مهاتفات، وعنده مراسلات، وهذا عنده مرئيات في قنوات متعددة يسهر الليالي، وهذا عبر شبكات الإنترنت، وهذا تجده معه عدد من الصحف، ويقوم بقراءة -في اليوم مثلًا- أربع أو خمس صحف، كل هذا على حساب الأمر الذي يريده الله جل جلاله منه، فهذا يدخل في قوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)} [سورة الكهف]، لذلك قال النبي ﷺ لما كان على المنبر؛ أمَّنَ ثلاث مرات، فسأله الصحابة، قال جبريل عليه الصلاة والسلام يقول: "رغِم أنفُ امرئٍ، رغِم أنفُ امرئٍ،رغِم أنفُ امرئٍ"... ومنها: "أدرك رمضانَ فلم يُغفرْ له"[٧]. خذلان ما بعده خذلان، وإن شاء الله تعالى سنذكر يومًا من الأيام وفي مجلس من المجالس شيئًا من هذه الأجور العظيمة التي الله سبحانه وتعالى جعلها لمن وفقه الله تعالى، أما المحروم المخذول، فإذا الإنسان لو اجتمع وعاظ الدنيا ومرشدوهم وناصحوهم فإنه لن ينفعه ذلك، فالموفَّق من وفَّقه الله، نسأل الله أن يجعلنا ممن وفقه الله تعالى لاهتبال هذه الفرص، ورزقه صحبة تعينه على طاعته إذا ذَكر يعينونه وإذا نَسي يذكرونه.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٧] رواه البزار والطبراني. (قال ابن حجر: إسناده حسن لشواهده). وعند الترمذي: "رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له". اللفظ الذي ذكره المتحدث: "مَن أدركه رمضان فخرج ولم يُغفر له"، لم أجده عند أحد.



لا تنسوا إخوانكم من الدعاء







مُؤَسَّسَةُ صَرْحِ الْخِلَافَةِ